



تأثير الثقافة اللاتينية في الرواية الجزائرية المعاصرة

رواية "أحاول أن أتذكر" لـ ميلود حميدة أنموذجا

The impact of Latin culture in the contemporary Algerian novel

"I try to remember" by Miloud Homida.

د. عيسى طهلال

جامعة الجلفة (الجزائر)

a.tahlal@univ-djelfa.dz

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الارسال: 08 جويلية 2021 تاريخ القبول: 06 نوفمبر 2021 الكلمات المفتاحية: ✓ الثقافة ✓ اللاتينية ✓ الرواية	تعددت بعض التجارب الإبداعية الروائية التي اشتغلت داخل فضاءات ثقافية مميزة، تكتشف في أجوائها تجارب متنوعة تحاول أن تتفاعل مع سياقات ثقافية وحضارية مختلفة، ومن ثم فإن هذه الدراسة قد ولجت إلى عمق هذه التجارب واختارت رواية لها أثرها في قراءة الآخر، قراءة تحملك إلى مجتمع آخر، وأنساق ثقافية مختلفة لها أبعادها الخاصة، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها هو حضور خصوصية الحوار الحضاري الأدبي وأثره داخل الإبداع الجزائري على الخصوص، وتنوع الخطاب الثقافي والإبداعي ضمن صور الأنا القلقة التي تبحث عن أمن بين مجتمعين مختلفين.
Article info	Abstract :
Received 08 July 2021 Accepted 06 November 2021 Keywords: ✓ Culture ✓ Latin ✓ Novel	Contemporary Arabic literature includes many important creations that appeared within distinctive spaces, Where multiple experiments are discovered with their different methods, and our study has entered into the depth of these experiments. This reading works towards a different culture distinct into the space of literature and creative, The most important results is to attend the privacy of the Civilizations Dialogue and its impact on Arab and Algerian communities in particular, as well as an actual conflict among different social structures on the other.

مقدمة:

تعتبر الثقافة اللاتينية من الثقافات التي شغلت حيزا مهما داخل الإبداعات العالمية على وجه العموم، وإبداعات أمريكا اللاتينية على وجه الخصوص، حيث أضحت هذه الإبداعات أيقونة في عالم الإبداع الأدبي العالمي، وظاهرة من الظواهر التي اعتنى بها النقاد من مختلف البلدان العربية والأجنبية، ومنه فقد مرّ هذا الإبداع بمراحل متعددة ساهمت في تطويره حتى وصل مع بدايات القرن العشرين إلى ذروة إبداعاته، فوفقت أعمال كثيرة في صدارة الإبداعات الرائدة على غرار الفنزيولي رومولو جايغوس والأرجنتيني ريكاردو جويرالديس والبرازيلي خوسيه دو ريجو وصولا إلى الإزدهار الفعلي لأدب أمريكا اللاتينية على يد مجموعة مهمة من الكتاب من مختلف الدول اللاتينية كالكتاب والروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز، والبيروني ماريو بارجاس يوسا وغيرهما.

ولعل الثقافة اللاتينية لعبت دورا كبيرا في تفريغ حمولاتها داخل النصوص الإبداعية، وبذلك انتشرت من خلال هذه الإبداعات عبر جميع الأقطار القارئة لهذا الأدب، فاستمدت حضورها من خلال تأثيرها الكبير والواسع بالثقافة الرومانية، وشكلت بذلك خصوصية تنوعت بين مختلف الناطقين باللغة الإسبانية، ولعل هذا الحضور برز أثره داخل فضاءات اللغة العربية من خلال أعمال متعددة، فاستخرج داخلها المبدعون مختلف خصوصيات هذه الثقافة، خاصة ما وجدناه حقيقي وفاعل في رواية "أحاول أن أذكر" للكتاب والروائي والمترجم الجزائري "ميلود حميدة"، هذه الرواية التي تحصلت على جائزة "علي معاشي" سنة 2010، فكانت ثمرة مهمة تخدم هذا الجانب من حوار الحضارات، من خلال تقنية سردية تفاعلية شكلت حلقة مهمة بالمقارنة مع الإبداعات الجزائرية المختلفة، فكان الأدب حاضرا، والتاريخ حاضرا، وثقافة المكسيك حاضرة، والحكايات القديمة والحديثة وأساليب الكلام المختلفة أيضا في حضور له أبعاده الإبداعية.

ومن هنا فقد تجسدت فعليا ثقافة المكسيك من خلال منتجها القوي في النص الروائي، هذه الثقافة المعقدة التي مازجت بين أصول السكان الأصليين للمكسيك، والثقافات الأخرى للمهاجرين، فقامت الرواية على محورين الأساسيين، ما بين أبعاد المجتمع الجزائري وخصائصه العربية والأمازيغية والثقافات المتنوعة التي امتزجت داخله، وأبعاد المجتمع المكسيكي وخصائصه المتنوعة من دين وأدب وفنون، لذلك نتساءل، هل حققت فعلا هذه الرواية ذلك الحوار الحضاري بين هذه الثقافات؟ وهل كان للأدب الجزائري سلطة الفاعل في إبراز مختلف هذه الثقافات؟

ومن فرضيات هذه الدراسة نجد:

- تفاعل الأدب الجزائري مع مختلف الآداب خاصة الأدب الإسباني.
- إنتاج لغة الحوار الحضاري بين المجتمعات.
- تفاعل البنية الاجتماعية العربية والجزائرية على الخصوص مع البنية الاجتماعية المكسيكية بين تضاد وتوافق.
- الثراء الثقافي والإبداعي للمنتج الأدبي الجزائري من خلال قراءاته للآخر، وتنمية فضاءاته المختلفة.

ومن هنا فإن أهداف البحث تجسدت أساسا في الوصول إلى عوامل ومحفزات التفاعل بين الأدبين الجزائري والمكسيكي، ومدى تأثير الثقافة اللاتينية في الرواية الجزائرية المعاصرة، حيث ارتأينا أن نقف عند العتبات الثقافية والإبداعية في رواية "أحاول أن أتذكر" متطرقين إلى العتبات الأساسية، ثم المكونات الثقافية اللاتينية والعربية في رواية "أحاول أن أتذكر" كمحور آخر، ثم المكون الاجتماعي والديني في الرواية.

2. العتبات الثقافية والإبداعية في رواية "أحاول أن أتذكر"

1.2 عتبة العنوان/السرد الذاتي حكائي:

تعتبر عتبة العنوان علامة دلالية مهمة تشكل معبر الولوج إلى محتوى النص، وفي رواية "أحاول أن أتذكر"، نجد هذه العتبة كأنها تشير إلى عملية السرد التي سوف تقف على ذكريات

تحقق عتبة المدخل تفاعلا مهما في إبراز شفرة الدخول إلى النص بعد عتبة العنوان، فالمدخل في رواية "أحاول أن أتذكر" للكاتب والروائي والمترجم ميلود حميدة يتضمن العديد من المؤشرات الدلالية، وهو يجسد مقطعا شعريا للشاعر اللبناني المكسيكي خايمي ساينيس Jaime Sabines (1926-1999) يقول «دعني أنفَس/ وأرخي عضلات قلبي/ ودع روحي في سبات/ فيمكن أن أتكلّم/ ويمكن أن أتذكر تلك الأيام/ الطويلة في حكاية»²، هذا المدخل الذي افتتح به الروائي نصه السردي يشير بذلك إلى دلالات متعددة، أهمها دلالة الحكاية، أي أن ما سيروى هو حكاية، قد تكون حكاية الراوي، أو حكاية المروي له، إنها النَّفَس الصادر من عمق التجربة، من عمق مجتمعات متعددة عاشها الفاعل الرئيسي وفصل أحداثها الراوي، وهي تشير أيضا إلى علاقة الراوي بالشاعر خايمي ساينيس، هذا الشاعر الذي جسّد داخل أشعاره فضاءات المرأة، بحيث صورها داخل لوحات عديدة، المرأة التي تأسرك وتضمك إليها في رفق وحنان، أو «بباعتك برؤية سوداء لامرأة تكون كالشرك المميت، أو تكون كوصف حيواني قاتل يبيد الماضي والحاضر والمستقبل»³، وهذه الترجمة لقصائد الشاعر الكبير خايمي ساينيس قام بترجمتها صاحب الرواية محل الدراسة، مما يدل على تفاعل مهم بين أجواء قراءته الشعرية لشاعر مكسيكي من أصول لبنانية ولد وترعرع في المكسيك، في الأجواء نفسها التي صاحبت الرواية من بدايتها، فوالد الشاعر خايمي ساينيس هو "خوليو ساينيس غوتيريس"، وقد ولد «في قرية قرب لبنان، هاجر رفقة والديه وشقيقه إلى كوبا، ولكن بعد سنوات قليلة توجه خوليو إلى المكسيك، تعلق روحه بهذا الوطن لدرجة أنه شارك في ثورتها، وحين عاد إلى ولاية شيباس تقلد رتبة نقيب كارانسيستاس، هذه المرحلة منحت له انتسابا إلى الطبقة الراقية في المجتمع الشياعي وذلك بزواجه من السيدة (لوس)⁴»، هذه السيدة التي كتب عنها الشاعر خايمي ساينيس نصا رائعا وتأثر بها كثيرا، وكأن الرواي في "أحاول أن أتذكر" قد أعاد رسمها من خلال شخصية مبدعة شكلها داخل ذلك المجتمع الذي أخذ منه الكثير، فعتبة

للفاعل الرئيسي، وبذلك يكون الدخول إلى النص عبر هذه البوابة التي تشير إلى تركيب يحدد من البداية مستوى السرد مبدئيا، وهو بصيغة الأنا الفاعلة التي تعكس ضمير المتحدث أو المتكلم، «فتكون الشخصية المشار إليها بوصفها "أنت" هي بطل الرواية أو بطلة/بطلة قصة»¹، ومن هنا ومنذ الحركة الأولى للنص وهي العنوان يحوّل الكاتب كل السرد في يد القارئ الخارج حكائي، و"أحاول أن أتذكر"، تشمل (فعلا) حركيا مستمرا يتجسد في مواصلة عملية المحاولة الذهنية لهذا الفعل، بحيث يدل على تفعيل أسرار متعددة سوف يتضمنها السرد، بحيث يكون العنوان هو استباق كلي يمهد لكل الأحداث التي سوف يحتويها النص السردي، كما يتضمن معنى السرد الذاتي - حكائي Autodiegetic، كأنه سيصل بفواعله إلى مستوى الحكاية الذاتية التي تعبر عن أحداث حدثت فعلا للفاعل الرئيسي، بحيث يكون هو المحرك الأساسي لجميع الأحداث والوقائع، وهو الضمير الأهم، وهذا ما يجعلنا نفرق بين ضمير المتكلم وضمير الغائب «في الحالة الأولى تروى القصة للقارئ من قبل سارد معلوم يعرف نفسه بضمير المتكلم ويقدم روايته الخاصة لأحداث شارك فيها أو له بها علاقة ما، وفي الحالة الثانية يبدو ظاهريا أنه لا أحد يوجه كلامه للقارئ»²، ومن هنا تكمن أهمية الضمير المتكلم إذا ما اندمج مع الفاعل الرئيسي وحرك الأحداث بحيث يصبح القارئ شريكا له وفاعلا من فواعله ومتخيلا يتفاعل مع فضاءاته التخيلية.

ولعل عتبة العنوان في البنية الروائية تشير إلى دلالات مهمة، فهي دلالة تلخص المستوى الأعلى للهرم الروائي السردي، وهي رؤية الكاتب والمتلقي معا لهذا العمل، فرؤية الكاتب هي وعيه الكلي والخاص الذي أنتج النص داخل وعي اجتماعي شمولي قد يتجاوز من خلال داخل نسق البنيوية، ووعي القارئ أيضا وهو وعي المتلقي الذي يمكن تجاوزه أيضا، ومن هنا فالدخول عبر هذه العتبة يجسد أهمية كبيرة في تلقي العمل الأدبي.

2.2 عتبة المدخل والإهداء/دلالة المرأة والشعر والأمكنة

الموازاة

داخل المتن الروائي محل الدراسة، من جهة أخرى نجده قد وظف دلالات اسم (غسان) أيضا، وهو شخصية داخل السرد تتفاعل مع الفاعل الرئيسي، بحيث يكون لها أثر واضح في الشخصية الرئيسية، «غسان من أصدقائي المقربين جدا، كان منزله قرب منزلنا، لكن غسان لم يمكث طويلا فرحل مع زوجته وعاش بمركز المدينة، كان يكبرني بست سنوات، لكنه وجدني مستمعا جيدا ومناقشا لبقا ومتعلما نبيها»⁷، ولعل غسان كان له أثر كبير في البعد الثقافي للفاعل الرئيسي بحيث تشارك معه تلك الأجواء، «يشاركني إدمان القراءة، قرأنا معا كتباً لمولود فرعون، وما زلت أتذكر إعجابنا برواية *Les chemins qui montent*، أيضا تعرّفت على الأمير الصغير لأنتونيو دي سانت إكزوبيري، وكدتُ أحفظها عن ظهر قلب»⁸، ولعل دلالات هذه الشخصية تشترك في اعتقادي مع ما أنتجه الكاتب الروائي عبد القادر حميدة، شقيق الكاتب، فهو أيضا قد اشتغل في الترجمة والكتابة الروائية، وأصدر العديد من القصص والروايات التي تحمل الأجواء نفسها، وكذلك من خلال حضور مدينة الجلفة وثقافتها في رواياته، خاصة رواية "موت القبطان"، ويقصد به محمد بن الشريف بن الأحرش، أول روائي في تلك البلاد، والذي مات بسبب الوباء واهبا نفسه للآخرين، وهو ما جسدت حكايته رواية "موت القبطان" «وفي الوقت الذي كانت عيونهم تقول الهزيمة، أمام المرض، أمام الجهل، أمام الفقر، كانت عيوني الذابلة تقول النصر، فشيء ما في داخلي يخبرني أنني انتصرت»⁹، فكان تجسيدا فعليا لحلقة مهمة من الحلقات الاجتماعية والثقافية لمدينة الجلفة، فهو من أبناء الشريف بن الأحرش خليفة الأمير عبد القادر، ومؤسس الزاوية التي «تقع في مخرج المدينة من الشمال»¹⁰، هذه الزاوية التي حملت تفاصيلها روايتنا محل الدراسة.

وداخل خصوصية عتبة الإهداء نقف أيضا على إشارات ودلالات كلمة "الأم"، فالأم داخل الرواية هي امرأة مكسيكية تدعى "كارمن" عاشت في إسبانيا وتزوجت رجلا جزائريا وأنجبت منه طفلا، هذا الطفل هو الفاعل الرئيسي والراوي داخل الحكاية، وهو الذي يحملنا عبر كل هذه المسافات

هذا المدخل تشير إلى علاقة الراوي بشخصية الشاعر خايمي ساينس وعلاقته بالمرأة، المرأة الأم، والمرأة الحبيبة، والمرأة الخائنة، هذه الأجواء التي يتحدث عنها الراوي ويقف بها عند عتبة الإهداء ليكتبها بشكل آخر فيقول «إلى ماكس أوب.. إلى صديقي في المنفى .. غسان، إلى أمي التي علمتني لغتها، علمتني كيف أحب فقط»، فمن هو ماكس أوب؟ ومن هو غسان؟ ومن هي أمه التي علمته لغتها؟

يشير التراكم المعرفي الذي اجتمع داخل أبعاد وفضاءات هذه الرواية إلى خصوصية مهمة اشتغل عليها الكاتب، فالثقافة اللاتينية المكسيكية تدل عليها علامات متعددة، والثقافة العربية أيضا تجسد حضورا معرفيا مهما، وبالتالي فمكانة ماكس أوب Max Aub (1903-1972) في ثقافة الكاتب والثقافة العربية لها قيمة كبيرة، خاصة وأنه قد سُجن في مدينة الجلفة *Djelfa*، وهي المدينة التي يقطن بها الشاعر والروائي والمترجم ميلود حميدة، وهناك قد كتب الشاعر المكسيكي ماكس أوب مجموعة شعرية عن هذه المدينة بعنوان (يومية الجلفة)، وقد ترجم الروائي ميلود حميدة مقاطع منها إلى اللغة العربية ونشرها في عدة مجلات على أمل أن تصدر جميعا في ثوب واحد، وأما دلالة الاسم في الإهداء، فهي تشير إلى خصوصية الثقافة المكسيكية من جهة، وتواجد الشاعر المكسيكي ماكس أوب في المنفى، في مدينة الجلفة الجزائرية، إبان الحرب العالمية الأولى، فماكس أوب «كان من أب ألماني وأم فرنسية، توجب عليه الرحيل إلى فالينسيا-إسبانيا- طوال الحرب العالمية الأولى بسبب جنسية والده الألمانية»⁵، وحينما «توقفت الحرب الأهلية وانتهت في فرنسا، اعتقل ماكس أوب فجأة وأرسل إلى عدة محتشدات للسجناء (رولاند غاروس في باريس، فارنت، الجلفة) حتى 1942 حيث فرّ من آخر محتشد إلى المكسيك»⁶، وهناك تحصّل على الجنسية المكسيكية وأصدر كتابه (يومية الجلفة) الذي كان قد كتبه في معتقل الجلفة، ويعتبر الشاعر والروائي والمترجم الجزائري ميلود حميدة أول من ترجم قصائده من اللغة الإسبانية إلى اللغة العربية، وقد نشر بعضها في جرائد مختلفة منها جريدة الميثاق البحرينية سنة 2005، كما وظف أجواء

Pablo Neruda (1904-1973)، هذا المقطع الذي يفتح بادرة الدخول إلى مدينة كيريتارو Querétaro حيث تقع هذه المدينة في شمال وسط المكسيك، ويتضمن ذلك المقطع ذكريات معينة لدى الفاعل الرئيسي، كما يتذكر بلديات كيريتارو، وهي أميالكو، أورو سيكو، كولون، لاندا دي ماتاموروس، وخالبان، هذه الأخيرة التي ولدت بين أحضانها أمه "كارمن أفيلا رودريغوز"، فبلدة «خالبان تتوسط هضبات كبيرة كأنها جبال تلف ابنها الوحيد في حنان، وتلك الكنيسة القادمة من زمن المسيحيين الأوائل قد تركزت في عمقها كقلب طفل ينبض بالأمل المستمر»¹³.

3. 1.3 دلالة المكان:

من جهة أخرى يركز الراوي على بعض الشوارع في المكسيك، في مدينة كيريتارو مثل شارع "ليروس"، ويعني الكتب، «شاهدت طفلا يعرض حزمة أوراق للبيع، امرأة توبخ ابنها بكلمات غير مفهومة يعتليها رداء شتائي شبه متسخ، الوجوه مفعمة بالدخان، يزاحمني أحدهم فيوقني أرضا، تساعدني ماتيلدا على النهوض مجددا، أنفض لباسي من أثر الغبار، نعود بسرعة إلى حيتنا، فيما بعد علمت أن ذلك الحي من أهم الأحياء القديمة في كيريتارو ويدعى فيما بينهم بحي الكتب»¹⁴، تؤكد هذه الصورة على تلك الجمالية في البحث وشغفه لدى البطل، فلهذه رغبة جامحة للاكتشاف، وشغف كبير بالكتب، لذلك قرر زيارة هذا الحي القديم في تلك المدينة العريقة.

بالإضافة إلى وصف دقيق لجمالية الحي الذي عاشت فيه جدة البطل، فقد «كان عبارة عن حي شعبي تتزاحم فيه الأشياء بالأجسام، يشبه هذا الحي الذي يدعى كارانسيستاس شوارع بعض المدن العريقة، فبصمة العرب وروائعهم بكل اختلافاتها قد جالت كل الأمكنة»¹⁵، وبالتالي كأنه يمازج هنا بين حضارتين مختلفتين التقتا في مسافات زمنية أخرى، فقد توغلت تلك الروائع في كل شيء «في الخشب الذي يغطي أسطح الأبواب، وألوانها الخضراء، في النوافذ وأشكال الأرضية والمداخل»¹⁶.

المتباعدة، وهي التي علمته لغتها، اللغة الإسبانية، كما تعلم من والده ومن مجتمعه الجزائري كل أبعاده في مختلف المجالات، فهي الأم التي ارتبط بها ارتباطا كبيرا، فشككت داخله أيقونة خالدة لا تفارقه، ومن بين فصول الرواية نجد فصلا بعنوان "تي آمو مادري"، ويعني بالعربية "أحبك أمي"، حيث كان الفاعل الرئيسي يتحدث عن الكثير من تفاصيل الثقافة المكسيكية، فجاءت أمه إلى هذا المكان لتزرع داخله كل تلك التفاصيل.

3. المكونات الثقافية اللاتينية والعربية في رواية "أحاول أن أتذكر"

1.3 المكون الأدبي والإبداعي للثقافة اللاتينية:

1. 1.3 البوبولفو:

تشكل رواية "أحاول أن أتذكر" محمولا ثقافيا متنوعا، حيث رسم الراوي اتساعا معرفيا وثقافيا مهما، فمنذ البداية ومن دلالات الفصل الأول المعنون بـ "بوبولفو" يقف بنا الراوي داخل عالم مختلف، عالم يحمل مؤشرات الثقافة اللاتينية، فالبوبولفو هو كتاب المايا المقدس، تلك الكلمات الطويلة التي تحكي عن رحلة عذاب شديدة من خلال الدم النازف والخفافيش والعناكب، تلك التي ينبغي أن تشاهدها نفوس الموتى وتعانيها من أجل الوصول إلى العالم السفلي، وهنا نجد الراوي قد ابتدأ الرواية بهذا الاسم ودلالاته في الفصل الأول، وخرج منها أيضا بمقاطع من البوبولفو «إذن، لا أناس، لا حيوانات، لا أشجار، لا أحجار، لا شيء...»¹¹، هذا الكتاب الذي يعتبر من أهم النصوص المقدسة للمايا، حيث «يروى أساطير خلق المايا ويصف أساطير المايا المبكرة. تم تدمير معظم كتب المايا من قبل الكهنة [المتحمسين] خلال الحقبة الاستعمارية: لقد عاش بوبول فوه عن طريق الصدفة والأصل موجود حاليا في مكتبة نيويورك في شيكاغو. يعتبر Popol Vuh مقدسا من قبل حضارة المايا الحديثة، وهو مورد لا يقدر بثمن لفهم دين مايا وثقافته وتاريخه»¹².

2. 1.3 بابلو نيرودا وكيريتارو:

منذ البداية أيضا يرسم لنا الراوي طريقا واضحا نحو شخصيته الرئيسية، فهي تردد مقطعا شعريا للشاعر التشيلي بابلو نيرودا

يتذكر أبعادا ثقافية وإبداعية معينة، يتكلم عن "الصخب والعنف" لفوكنر، كما يتكلم عن "الليالي البيضاء"، "والجرمة والعقاب" لدوستوفسكي، كما يقف عند أبعاد ومشاهد "جنائزات الأم الكبيرة" لغابرييل غارسيا ماركيز، ولوركا، وخورخي لويس بورخيس، وأوكامبو، والإسبانية غلوريا فويرتس، إنه يحاول أن يصدر صورة للفاعل الرئيسي تتضمن خصوصيته الثقافية واللغوية، إنه لا يقرأ تلك الروايات بالعربية بل بلغاتها الأصلية أو باللغة الفرنسية، وفي مقابله مع الشيخ السجين يرسم طرفا من أثر التكوين الثقافي لديه، فالشيخ يظهر بصورة المتحدث المتعلم والمتقف إلى أقصى الحدود بحيث لا ينطق بكلام مباشر بل تأتي الكلمات في صورة إشارات تدل على معاني مختلفة، يقول الشيخ: «كلنا نتخيل فقط.. أنت تتخيل أنك قتلت شخصا فزجوا بك هنا اعتقادا منهم أن خيالك فاسدا، وأنا تخيلت أنني أحرقت بلدة كاملة فتخيلوا أنني أحمل عقلا فاسدا أيضا، وها أنا أتخيل أنني أتكلم عن أحلامي وأتخيلك المستمع»²¹، لكن يظهر أن ذلك السجن هو سجن في بلد عربي، كما يصدر وصفا لتلك القدرة الثقافية لدى الفاعل الرئيسي حين «يؤكد أن الصخب والعنف تجسيد لنظرية الفيلسوف النمساوي فرويد التي تباعد بين أقسام النفس الإنسانية»²² ويبين تلك التركيبة المنظمة داخل المنظومة النفسية، وهنا يقف أيضا من خلال ذلك الرسم الإبداعي عند جرائد إسبانية ومكسيكية، فهو دائم الكتابة إلى جريدة "لافيرداد" بمديره وتعني الحقيقة، كما كانت تقدم له مكافآت مالية، فيقابل ذلك التعامل الأجنبي داخل هذه المؤسسات بما تقدمه المؤسسات الإعلامية العربية !.

1.3.5 الأنا الطفولي:

تنسجم مشاهد الدخول في البنية الروائية لدى الروائي ميلود حميدة مع خصوصية الثقافة اللاتينية لدى البطل، فهو يجد تلك المكونات من خلال عدة مؤشرات، فنجد الفضاء الطفولي في علاقته بوالدته المكسيكية "كارمن" خاصة، وقد خصص لها فصلا حمل اسمها، كما نجد ذلك في علاقته بماتيلدا صديقة الطفولة، تلك التي كانت مجسدة لعالمه الطفولي في الخارج، عالم

كما يظهر بشكل لافت للنظر الشارع الذي كان يحتوي على البيت الذي كانت تعيش فيه والدته مع خالتها، وهو شارع "إسلا دي أوسا"، وقد وصفه بأنه شارع منظم وراقي «تميزه البناءات الشبه عالية، تتكون من عمارات سكنية مبنية على طراز عصري»¹⁷، مما يدل على أن خالتها كانت ميسورة الحال في إسبانيا، ولا تعيش معها سوى خادمة، وقد لجأت لها كارمن للدراسة والعمل، وهناك التقت بوالد البطل، هذا الوالد الجزائري الذي سافر لإسبانيا للعمل كمراقب مباني بمديره، لكنه كان من المحبين الشغوفين للتحف، فكثر زيارته للمتاحف، وهذه دلالة ثقافية مهمة يؤسس عليها الراوي حكايته ليتعرض للقيم الفنية والإبداعية في أماكن أخرى، وهي تقنية لها أثرها في العمل الإبداعي، بحيث تصف عددا من الفواعل المهمة لقراءة نسق فني مختلف، فقد وقف عند متحف الثقافة القوطية في طليطلة، ذلك الذي كان «عبارة عن كنيسة تدعى سان رومان، بنيت عقب استرداد مدينة طليطلة»¹⁸، وهو يقف أيضا عند تماثيل مواي بالشيلي، وقلعة جبل القديس ميخائيل في نورماندي بفرنسا، ومعبد الدواوين في بالينكو بالمكسيك، ومبعد آزاتيك، كما انتقل إلى آسيا ودخل فضاء كان موقعا لعاصمة مملكة شو القديمة، واكتشاف أطلال سانشينغداي، ومن هنا فإن كل هذه المؤشرات تشكل فضاء اجتماعيا وثقافيا لا يقتصر على الجمالية الأدبية، بل يتعدى ذلك ليجوب كل التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية والإيديولوجية، وسرى ذلك في البعد الديني أيضا الذي نجسده عبر مقارنة بين اتجاهين مختلفين، لأن الحقل الروائي الممكن هو «الذي ينطوي على تعددية المعارف، حوارية المعارف المختلفة، تراجع المرتبة، "الوعي اللغوي الغاليلي"، الإنتاج الموسع لقارئ حديث»¹⁹، لذلك فإن «حضورها، أو غيابها، هو الذي يعلن عن حضور "مجتمع الرواية" أو عن غيابها»²⁰، بل الحضور الدال على فعالية البعد الروائي في المجتمع القارئ.

1.3.4 الثقافة الأجنبية:

في سياق التحول الاجتماعي الذي طرأ على الفاعل الرئيسي، يقع وصف لحضور البعد الثقافي لديه، فهو سجين

بادرة الدخول إلى هذا العالم الروائي كانت وقفة رمزية لحضور شخصية الأمير عبد القادر الجزائري، هذه الشخصية التي أثرت في جميع الأجيال التي تلتها، فهو مؤسس الدولة الجزائرية، وهو العالم المجتهد والشاعر الناثر والبطل المحارب ضد الاستعمار الفرنسي، هذه هي الرؤية المتداولة التي نمت على تراب ثقافة جيله، لذلك نجده قد حمل رمزا مهما يعبر عن هذه الشخصية، «فتح العم مانويل تلك الهدية ليقع على تمثال يحمل نقشاً رائعاً للأمير عبد القادر الجزائري، تفاجأ وتلعثمت في فمه الكلمات، الصور بدأت للتو تخرج من صناديقها المغبرة..»²⁴، فنقف على صورة مهمة لحالة فنية تاريخية عميقة تجمع بين قيمة الأمير وأثره في المجتمعات الأخرى، يقول العم مانويل «لقد قرأت عنه منذ أيام فقط.. يا للمصادفة.. منذ أيام فقط قرأت في جريدة "الأصول" أنه سيقام على ما أعتقد فيلماً سينمائياً حول حياته..»²⁵.

2.2.3 زاوية الشريف بن الأحرش:

تخطيط الرواية بقراءة فنية وتاريخية لزاوية الشيخ الشريف بن الأحرش خليفة الأمير عبد القادر الجزائري، تستنبط من خلالها مكانة الزاوية في ذلك المجتمع وأثرها العلمي والديني معا، وأيضاً مكانة هذه الشخصيات وقيمتها داخل ذلك المجتمع، وأثرها في التكوين الأساسي للشخصية الرئيسية، فشخصية الشيخ الشريف بن الأحرش من الشخصيات المهمة تاريخياً، تحدث عنه الفرنسيون أنفسهم وأشادوا بعظمته، لنجد أن أوجين فرونتمان حينما جاء للجلفة أثرت فيه شخصية هذا الرجل، فعبّر عن هذا التأثير العميق والمدهش بما رسمه من ملامح لهذا الرجل فكان هو البورتريه الذي عُرف به هذا الشيخ، وقد نقل الكاتب وصفا مهما لأول زاوية في المكان وحدد موقعها ومدخلها وغرفها وما تحمله من دلالات علمية ودينية، «ما زلت أتذكر ذلك المشهد الذي ظل حياً في ذاكرتي، حينما زرت وغسان زاوية الشريف بن الأحرش التي تجسدت على أرض المدينة سنة 1855م، حينما استقبلنا حفيده الشيخ "الزين" بوجهه البشوش الذي يميل إلى الحمرة، شرب بعض تفاصيله من جدته الإسبانية»²⁶، وكان حكاية الفاعل الرئيسي تتقاطع في نقطة ما

يتجول داخله ومعه، يقرأ من خلاله كتاباً آخر، إنها تغني معه، وتجوب به شوارع تلك المدينة، فهي بذلك قد شكلت نسقا ثقافيا مختلفا ومتنوعا، يحدثها بلغة أمه ويعيش في أعماقها كأها جزء منه، يتذكر أغنيته المفضلة "الدمية الزرقاء"، لكنه في جانب موازي تؤثر هذه الثقافة في مشاعره بشكل سلبي حين يصطدم بواقع عربي يشكل له هاجسا مهما في صغره لا يستطيع الفكك منه بسهولة، حين يواجهه أبناء الحي العربي بالتممر على خلفية والدته المكسيكية، هذه الحالات التي تبعث بأبعاد سلبية داخل شخصيته، وذلك حين يشعر بأنه مختلف عن أقرانه، ولا يجد راحته إلا حين يغادر بلده إلى المكسيك، «كنت أراها الدنيا التي تغلق أجنحتها عليّ فيغمري دفء ملائكي، رغم كل ما أسمعها منها من كلمات بذينة على أساس أنها امرأة أجنبية»²³ فكان فرديته أو علاقته بالآخر قد تجزأت، فبدل أن ينتمي لهوية واحدة أضحي مشتتا بين هويتين أساسيتين في حياته بعد ذلك، فالأدوار الاجتماعية المتاحة في هذا المجتمع تختلف عن الأدوار الاجتماعية في المجتمع الآخر، فنمت داخله ثقافتان مختلفتان لكنه يشعر بهما ويتلون بألوانهما. فدلالات الوطنية عند والده تختلف أيضا دلالاتها عند والدته، إنه شخصية مركبة ومزدوجة يتحدث مع والده حول خصوصيات وطنه ويشرب منه كل انتماءاته، كما يحلم مع والدته بالعودة إلى وطنها الذي هو وطنه أيضا.

2.3 المكون الأدبي والإبداعي للثقافة العربية:

جسدت الرواية مكونات ثقافية عربية مهمة، حيث تضمنت العديد من هذه المؤشرات في سياق أدبي وفني وتاريخي، مجتمع يحمل الكثير من الدلالات في عالم الصبي، تشرب عاداته ومعتقداته العربية والجزائرية، وتعلم منها الكثير في سياق الأبعاد التعليمية المؤسسة على مرجعيات ثقافية وسياسية ودينية واجتماعية، كما ترسخت في عمقه أبعاد مختلفة لخصوصية هذا المجتمع، ولذلك سنتطرق لأهم ما جاء في الرواية من مكونات وأبعاد.

1.2.3 شخصية الأمير عبد القادر الجزائري:

مع هذه الحكاية الجميلة للمرأة الإسبانية، هذه الحكاية التي فعل حضورها الروائي عبد القادر حميدة في روايته "الحكاية الحزينة لماريا ماغدينا"، ومن جهة أخرى فقد أشارت رواية "أحاول أن أتذكر" لعدد من الأماكن والشخصيات التي أثمرت في حياة هذا الشيخ، فقد طلب العلم في الزاوية المختارية بأولاد جلال، كما أخذ العلم عن شيوخ آخرين، منهم الشيخ محمد بن السعيد بن بركات، والشيخ محمد الزين بن بركات، وتشير أيضا هذه المساحة الهامة إلى النشأة المعتادة لطلاب العلم المخلصين لهذه الطريقة، دراسة الصحيحين والموطأ والشفاء وشمائل الترميذي والمواهب اللدنية والجامع الصغير والنحو والبيان والمنطق والفلك والأصول وغير ذلك من العلوم.

وفي سياق آخر تترصد الرواية أجواء الاستعمار ودلالاته الثقافية، فدلالة الاستعمار ثقافيا تقرأها الرواية كما هي في أصولها الأولى التي تحمل هداما، لكنها تشير إلى جانب خاص ودقيق وعميق حين يجعل من بعض ذلك الحضور حضورا مختلفا، «إن زمن الاستعمار لم يرحل هكذا دون أن يترك رسائل كثيرة فيها ما هو سيء وفيها ما هو جميل، وربما كانت تلك الجمالية صور لم يتصورها عقل المستعمر نفسه، فبالرغم من مشاهد الدمار التي أنهكت جسد التراب إلا أن هناك في وسط ذلك الدخان الكثيف ما يشفي بعض الآلام ويخفف وطأة الحروق التي تركها»²⁷. ولعل ذلك إشارة لعبور الشاعر المكسيكي ماكس أوب لهذا المكان.

3.2.3 مؤشرات ثقافية أخرى:

من أهم المؤشرات الثقافية التي تفعلها رواية "أحاول أن أتذكر" هي في توظيف البعد الثقافي بشكل عميق ومميز، فنجد هشام شرابي من خلال كتابه "الجمر والرماد، حين يجعله الروائي شريكا له في عملية التذكر واستدعاء المعرفة الاجتماعية بكل تنوعها، «كنت أحمل كتابا باللغة العربية لكاتب عربي يدعى هشام شرابي، اقترب جابيتو مني حيث لم يجد مكانا شاغرا في النادي، وكنت الوحيد في تلك الساعة الذي يجلس وحده، قدم جابيتو نفسه وطلب مني أن أشاركه الطاولة والحديث، رحبت به كثيرا ثم انغمسنا في الحديث عن الكتاب الذي أحمله وعن

الكاتب هشام شرابي»²⁸، فنقل المعرفة العربية إلى الآخر كان من ضمن المؤشرات المهمة التي ملأت هذا الفضاء الروائي، وهو ما حدث فعلا في عدد من الدلالات، مثل حضور دلالة رواية "الأمير" لواسيني الأعرج، ودلالة مدينة الجلفة ومن يقطنها من علماء أو مبدعين، وزوايا وعارفين، «أعبر "عين معبد" وأسلم على المعلم الشيخ سي عطية بن بيض الغول، كما أسلم على سي الهادي مصطفى وشقيقه سي عطية، ذلك الذي بنى لنفسه تمثالا فكريا في عقول ساكنيها، أمر على "الزينة" وأتسلل عابرا مداخلها في فجأة الصحو الذي يوقظني من حلم اشتياقها ليصنع مشهدا واقعا على مرأى بصري، تذوب هنالك كل الذكريات لتبدأ ذكريات أخرى أحاول في كل مرة أن أتذكرها»²⁹، كما يتذكر في مواقع أخرى "فرانسوا دوفيلاري" وما كتبه عن هذه المدينة، ويعمق حكايات "الصميدة" الشاعر والمنشد الشعبي، ويرجع إلى الأبعاد المؤثرة في شخصية وأفكار المفكر "طه حسين" وكيف استخلصتها إحدى شخصيات الرواية وهي "محي الدين" من خلال قراءاته له، «ومن هنا عرف طه حسين، وعرف جيدا أزمة العقل»³⁰.

4. المكون الاجتماعي والديني في الرواية:

تبرز دلالات واضحة للمكون الاجتماعي في سياق ديني داخل فضاء هذه الرواية، فنجد الفاعل يتأثر كغيره من أفراد المجتمع الأول بالنمط الديني الغالب، ونجده أيضا وليس كغيره من أفراد المجتمع الأول، بل ضمن فئة اجتماعية أخرى يتساءل ويتعمق في السؤال، بل يحاول أن يقرأ تلك الأنماط بشكل مختلف عن ما هو سائد اجتماعيا، إنه يستنطق النصوص ودلالاتها في بعد قديم وحديث، وهذا الاستنطاق هو ما أشير إليه داخل الرواية كعملية تأويل، وهو «يمثل آلية هامة من آليات الثقافة والحضارة في إنتاج المعرفة»³¹، وعليه فقد برز نوع من التأويل الخاص في مساحة معتبرة من النص الروائي، وذلك في محاولة لنزع بعض الثوابت التقليدية في عملية التأويل، «ليصل الراوي إلى بعث مؤشرات متتالية في إيراد السرد لخصوصية السؤال دالا على معطياته الجوهرية الأولى التي نتج عنها»³²، وبذلك يخترق السائد إلى إحداث وجهة نظر مختلفة.

- تشكيل لغة نقدية داخل الفضاء الروائي من خلال المؤشرات الثقافية الواردة في النص
 - تنوع الخطاب الثقافي والإبداعي ضمن صور الأنا القلقة التي تبحث عن أمن بين مجتمعين مختلفين.
- ومن هنا فقد بلغت الرواية في حضورها الثقافي مبلغا معتبرا شكّل حلقة تحوّل لأدب الشباب في تلك الفترة، ولعل رواية "أحاول أن أتذكر" للمترجم والروائي الجزائري ميلود حميدة قد أضحت تعبيرا له قيمته المعرفية في توظيف الثقافات المختلفة على غرار ما تطرقت إليه بعض كتابات هذا الجيل متبعة هذا النهج وباحثة عن تاريخها وعلاقته بتاريخ الآخر مهما كانت جنسيته ومهما كانت موطنه.

كما تبرز بشكل لافت مشكلة الإرهاب مع مرجعياته الأصولية وكيف أثر اجتماعيا ودينا في تلك المنطقة، ومن هنا يفعل الراوي دورا في زرع الوعي الديني من خلال تحديد أسس تلك المرجعيات وانتقادها، وتفعيل دور التوجيه وذلك من خلال قراءة لحركة الإرهاب في الجزائر وكيف أثر فكريا على أجيال مهمة، منتقدا تصورات الحركة لآلة القتل والتخريب.

وفي موازنة أخرى يكشف النص عن أثر ديني مسيحي يشكل دلالة من خلال محورين مهمين، الأول من خلال أمه كارمن المسيحية، والثاني من خلال القساوسة الذين يلتقي بهم في المكسيك، فيكون مرجعا ضمينا يظهر الموازنة بين هذه الأبعاد في مساحة مختلفة تُبرز الكثير من التأويلات والنقاشات والدلالات.

5. خاتمة:

تشهد هذه الرواية تحولا معتبرا في الكتابة الروائية الجزائرية، رغم الشعور الذي يصلك بأن الرواية قد اختزلت الكثير من الأحداث والوقائع، وهذا تقصير كبير داخل هذا الفضاء الفسيح، فهناك العديد من الفصول تحتاج إلى توغل أعمق وإلى سرد مكثف، فكأنها لم تقل كل شيء، إلا أنها ورغم كل ذلك الاختزال هي من الروايات الثقافية الجديدة بالقراءة، فقد فتحت أبواب الدخول إلى عالم آخر، عالم مليء بالصور والذكريات والحكايات والأساطير والفنون خاصة في جانبها المكسيكي، كما ركزت على جدلية العقل الديني في البحث عن دلالات منطقية لوقائع الفكر الديني المختلفة، وشكلت عبر فضائها مجتمعين مختلفين يتضادان أحيانا ويرتبطان ببعضهما أحيانا أخرى، وبذلك فقد وقفنا على أهم النتائج المستخلصة من هذه القراءة تمحورت في:

- محاولة إنتاج لغة الحوار الحضاري بين مجتمعين مختلفين.
- تفاعل البنية الاجتماعية العربية والجزائرية على الخصوص مع البنية الاجتماعية المكسيكية وذلك بين تضاد وتوافق.
- الشراء الثقافي والإبداعي للمنتج الأدبي الجزائري من خلال قراءاته للآخر، وتنمية فضائه المختلفة.

6. قائمة المراجع:

- 1- مونیکا فلورنك، (2012)، مدخل إلى علم السرد، لبنان، دار الكتب العلمية، ص 311.
- 2- محمد الباردي، (2013)، نظرية الرواية، تونس، ضحى للنشر والتوزيع، ص 85.
- 2- خايمي ساينس، (2019)، لا أعرفه يقينا لكن أفترض، تر ميلود حميدة، الجزائر، لبنان، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، ص 03.
- 3- نفسه، ص 14.
- 4- نفسه، ص 10.
- 5- ميلود حميدة، (2008)، أوراق لاتينية انطباعات حول الأدب اللاتيني المعاصر، الجزائر، دار ميم للنشر، ص 16.
- 6- نفسه، ص 16.
- 7- ميلود حميدة، (2014)، أحاول أن أتذكر، الجزائر، موفم للنشر، ص ص 130، 131.
- 8- نفسه، ص 131.
- 9- عبد القادر حميدة، (2021)، موت القبطان، الجزائر، دار خيال للنشر والترجمة، ص 144.
- 10- ميلود حميدة، أحاول أن أتذكر، المرجع السابق، ص 135.
- 11- نفسه، ص 173.
- 12- كريستوفر مينستر، (2021)، مايا الكتاب المقدس و Popol Vuh: <https://eferrit.com/%D9%88-popol-vuh>
- 13- ميلود حميدة، أحاول أن أتذكر، المرجع السابق، ص 11.
- 14- نفسه، ص ص 12، 13.
- 15- نفسه، ص 14.
- 16- نفسه، ص 14.
- 17- نفسه، ص 87.
- 18- نفسه، ص 90.
- 19- فيصل دراج، (1999)، نظرية الرواية والرواية العربية، المغرب، المركز الثقافي العربي، ص 154.
- 20- نفسه، ص 154.
- 21- ميلود حميدة، أحاول أن أتذكر، المرجع السابق، ص 26.
- 22- نفسه، ص 31.
- 23- نفسه، ص 61.
- 24- نفسه، ص 19.
- 25- نفسه، ص 20.
- 26- نفسه، ص 135.
- 27- نفسه، ص 137.
- 28- نفسه، ص 100.
- 29- نفسه، ص 132.
- 30- نفسه، ص 33.
- 31- نصر حامد أبو زيد، (2014)، مفهوم النص، المغرب، المركز الثقافي العربي، ص 9.
- 32- ميلود حميدة، (2016)، المؤشرات السيميائية لتحولات الشخصية القصصية قصة "انتقام" لعبد القادر حميدة أمودجا، مجلة سيميائيات (جامعة وهران)، العدد 06، ص 226.